الفصل الرابع

معوقات الأمن التربوي ومقوماته

obeikan.com

obeikan.com

أولا: معوقات تحقيق الأمن التربوي:

هناك عديد من المعوقات التي تحول دون المدرسة وتحقيق الأمن التربوي منها:

أ- معوقات خارج مجال التعليم:

1- الافتقاد إلى فلسفة مجتمعية تدرك أهمية الأمن التربوي كجزء لا يتجزأ من الأمن القومي.

2- ضعف مكانة العلم التربوي بين العلوم الاجتماعية والطبيعية لغياب التغيير والتطوير، وغياب فلسفة تربوية تبرز أهمية تحقيق الأمن التربوي:

باستقراء الدور الذي يلعبه العلم التربوي بين العلوم الأخرى نجد أنه لم يصل إلى المكان والوضعية اللائقة التي تتناسب مع حجم غاياته ومسئولياته المجتمعية ودوره الأساسي في بناء الإنسان ، وقد يرجع ذلك لقصور مؤسساته في إنتاج هذا العلم ككليات التربية.

فيرى " السيد سلامة الخميسي " في دراسة له عن المناخ العلمي الراهن في كليات التربية ، ومدى انعكاسه سلباً أو إيجاباً على التغيير والتطوير في الفكر التربوي في مصر " أن المناخ العلمي في مصر ينعكس سلبياً على تطوير الفكر التربوي ، إذ أن هناك تناقض يعانيه فكرنا التربوي وركودا يمثل جزء لا يتجزأ من أزمة عامة يعيشها الفكر عموماً في مجتمعنا ... ويصبح السبيل إلى تطوير فكرنا التربوي هو تهيئة المناخ الملائم للتطوير ومواجهة المعوقات التي تقف أمام إبداعه" (الخميسي2003 ، 20).

3- غياب الدور الحكومي الفاعل في الاهتمام بالتربية والتعليم سنوات طويلة في خطابها العام وفي ممارساتها تجاه هذا القطاع الحيوي الذي يتصل بعمق بالأمن القومي للمجتمع.

هذا في نفس الوقت الذي ركزت فيه الأمم المتقدمة الاهتمام على التربية وإعطائها مرتبة الصدارة بين أولويات التدخل الحكومي ، اعترافًا منها بأهمية وضرورة التربية والتعليم ، ودورها الرائد في التنمية (طعيمة ، 2008 ، 346).

4- ضعف الوعي المجتمعي بأهمية التربية والبحث التربوي في تطوير الواقع ، نظرًا لأن نتائج البحوث التربوية لا تسهم في رسم السياسات التعليمية وتظل مقصورة في إفادتها على الباحثين أنفسهم (الخميسي ، 2003 ، 74).

5- تراجع الرؤى التربوية والأهداف ذات الطابع الإنساني الثقافي لصالح الأهداف ذات الصبغة الاقتصادية.

فيرى "علي أحمد مدكور": أن أهداف مثل إحياء التراث الثقافي ونقله عبر الأجيال وتطويره ، وتحقيق الذات ، وترسيخ الإيمان بالله عزوجل ، وفهم شريعته في الحياة ، وترقية الذوق الفني والأدبي..وغيرها بدأت تتقلص وتنزوي لحساب الأهداف الخاصة بالعمالة وقوى الإنتاج ، وحاجات السوق ومتطلباته. ونتيجة سيطرة تلك الأهداف نتجت ظاهرة "الخصخصة" وغزت مجال التربية والتعليم (مدكور ، 2005 ، 191). فاصطبغ التعليم بالصبغة الاقتصادية وقد فرض هذا الأمر مجموعة من المتغيرات من أهمها تراجع الرؤية الإنسانية والثقافية في مجال التربية والتعليم. ويترافق مع هذا الأمر ويحكمه مجموعة من القيم ذات الطابع الاقتصادي البحت كالكسب السريع ، وقيم السوق في البقاء للأقوى ، والأنانية والفردية وغيرها

من مبادىء وقيم تبعد الإنسان عن عمق إنسانيته. وهذا يمثل تهديدا كبيرا للأمن التربوي للإنسان.

6- التراجع القيمي والأخلاقي بشكل عام:

إن الصراع القيمي والتراجع الأخلاقي الذي نشهده في الوقت الحاضر قد يرجع إلى فقدان الثقة في إمكانات الثقافة العربية وقدرتها على التجدد في ظل هيمنة وسيطرة الثقافات الأخرى التي استوعبت بل وأنتجت لغة العصر ونجحت إلى حد كبير في نشر قيمها وفرض أخلاقها بين النشء والشباب ، التي تتنافى إلى حد كبير مع أخلاق وقيم الثقافة العربية والإسلامية.

فتؤكد بعض تقارير اليونسكو أن معركة البشرية في القرن الحادي والعشرين ستدور حول القيم والأخلاقيات وحماية إنسانية الإنسان ، وحماية البيئة. وترى أن دور التربية هو ترسيخ القيم الروحية وقيم التعاون والإحساس بالمصير المشترك وتعلم قيم أن نعيش معا ، بدلا من أملك وحدي (مدكور ، 2005 ، 194).

7- ضعف الاهتمام والرعاية بالفائقين والموهوبين من أبناء الوطن: رغم أن هذه الفئة تمثل رصيدًا حيويًا فائقًا في دفع المجتمع إلى وضع أفضل من خلال إنتاجهم من الأفكار المبدعة والاختراعات وغيرها. فالمتميزون في أي مجتمع هم مرتكز أساسي في تنميته ، لذا فضعف الاهتمام بهم وبتنمية التفكير الإبداعي والابتكاري لدى الأطفال عموما يعد تقويض لهذا الهدف الحيوي والذي يتوجب أن يكون من أولويات الأهداف التعليمية التي تسعى المدرسة والمؤسسات التربوية إلى تحقيقه في كل جوانب العمل بها ، كجانب يسهم في تحقيق الأمن التربوي.

"فمع ما للقدرات الإبداعية من أهمية ، فإن دراستها ومعرفة شروط نموها والعوامل التي تيسر ظهورها ، أو التي تعوق هذا الظهور ما زالت محدودة بشكل مؤسف" (إبراهيم ، 2006 ، 222).

8- تفشي ظاهرة الأمية: تمثل الأمية آفة اجتماعية خطيرة ، ورغم ما بذل ومازال يبذل من جهود تجاهها إلا أنها ما زالت قائمة في مجتمعاتنا العربية. وأصبح حلم مجتمع بلا أمية بعيد عن التحقيق إذا ما اتبع نفس النهج ، ونفس الفلسفة. فالإبداع لا يكون ولا يثمر في مجتمع يعاني جزء لا يستهان به من الأمية. تلك المشكلة التي تتعدد مظاهرها وأنواعها بين أمية أبجدية وسياسية وعلمية وثقافية وتكنولوجية ووظيفية. "فقد وصلت نسبة الأمية في مصر إلى 29,8٪ من تعداد السكان طبقا لإحصاء عام 2003م. وبينما تنشغل الدول المتقدمة بالأمية التكنولوجية والثقافية ، تنشغل مجتمعاتنا العربية بالأمية الهجائية التي تثقل كاهلنا والتي وصلت 50٪ وترتفع بين الإناث لتصل إلى 65٪" (طعيمة ، 2008 ، 131).

9- تصاعد معدلات العنف والجريمة في المجتمع المحلي والعالمي ، والذي يغذيه الفقر وسوء توزيع الثروات ، واللا عدالة... الذي يبرر سخرية وتهكم الكثيرون على من يدعو إلى اعتناق المبادئ والقيم الأخلاق... والذي تختلف أشكاله من بلد لآخر وتتنوع مظاهره إلى الحد الذي يفقد وينزع عن الإنسان مظاهر إنسانيته. وكذا تصاعد حدة بعض المشكلات الأخرى كالإدمان ، والتفكك الأسري ، والانحلال الأخلاقي مما يهدد الأمن التربوي والذي يرتبط بعلاقة جدلية عكسية مع تلك المشكلات ، فتوفر الأمن التربوي يقلل من معدلات الجريمة ويخفف من حدة بعض

المشكلات ، ويقضي على مشكلات أخرى ، من خلال عدة أمور منها التحلي بالقيم والأخلاقيات والسلوكيات الحميدة التي ترسخها التربية.

ب- معوقات داخل مجال التعليم عامة:

1- ضعف قدرة مؤسسات التعليم (المدرسة والجامعة) على قراءة لغة العصر والإفادة منها وتوظيفها في إثراء العمل التربوي:

فقد مكنت تكنولوجيا الاتصال الناس من التفكير النقدي والإبداعي والخيال الخصب بالصوت والصورة ، وزادت من الخيارات المتاحة لديهم يوم بعد يوم. مما يكسب القدرات النقدية ومهارات الاتصال ويعطي الإنسان الإحساس بالمعنى والقدرة على التغيير ، ويزيد من وعيه وتمكينه في هذه الحياة (*Media Morphoses,2007*).

2- تراجع تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، والتكافؤ في الظروف التعليمية للجميع:

يعد توفير الفرص المتكافئة من التعليم لجميع أبناء الوطن عامل هام في تحقيق الأمن التربوي. فكيف ننشد أمنا تربويا من خلال المدرسة أو المؤسسات التربوية الأخرى من دون أن يكون هناك عدلاً وانصافًا للجميع في توفر فرص تعليمية متكافئة في الشكل والمضمون والنهج والممارسة التعليمية والتربوية؟

3- ضعف الاعتماد على المتخصصين في التربية والتعليم والاستعانة بآرائهم في فلسفة وسياسة التعليم وتوجيهاتهم في حل المشكلات المرتبطة بالمجال والاقتصار على المختصين من أصحاب السلطة واتخاذ القرارات.

4- الافتقاد إلى عناصر التواصل الحقيقي بين المدرسة والجامعة ، وغياب الدور المنشود للجامعات كقاطرة للتقدم والتنمية لبناء إنسان قادر على التفكير العلمي الإبداعي ، حيث تبني على ما أسسته المدرسة.

فالجامعة المصرية بوضعها الحالي لم تستطع حتى الآن القيام بمهمة رئيسة بالغة الأهمية ، هي مهمة تكوين مهارة التفكير العلمي لدى خريجيها ، وأن تكون مكانا لتدريب الدارسين على حل المشاكل وعلى التفكير بأسلوب علمي في مجالات الحياة المتعددة (طعيمة ، 2008 ، 120). فكيف للجامعة وهي بهذا الواقع أن تسهم في تحقيق الأمن التربوي للمتعلم؟.

5- ضعف وضع ومكانة العلم والتكنولوجيا في مناهجنا المصرية والعربية: "هناك انخفاض للنسبة المئوية لمجموع العلوم والرياضيات في منطقتنا العربية ، قياسًا بالنسبة المئوية المقابلة في المتوسط العالمي ، إلى جانب غياب المفهوم الواضح لتدريس التكنولوجيا (طعيمة ، 2008 ، 124).

6- وجود عناصر غير متخصصة تعمل بمهنة التعليم ، لتصبح " مهنة التعليم مهنة من لا مهنة له": إذ يتعدى على مهنة التعليم كل مختص وباحث عن عمل وليس متخصصاً بها ، وهذا يعوق تحقيق الأمن التربوي بالمدرسة والمجتمع.

7- تراجع مكانة المعلم لأسباب متعددة بعضها يرتبط بتكوين المعلم وسماته الشخصية والآخر يرتبط بالسياسات الموجه للعملية التعليمة برمتها. بالإضافة إلى ضعف تمكينه من أدوات انجاز عمله بشكل جيد - سواء كانت أدوات تقليدية أم أدوات تقنية.

8- ضعف عوامل الجذب في النظام التعليمي عامة ، مما مهد الطريق فيما بعد للتوجه إلى الخارج وهجرة العقول المبدعة حيث تجد في بلاد المهجر كل الدعم وعوامل الجذب. وهذا ينعكس سلباً على الوطن والتنمية والثقافة الوطنية والقومية، وعلى بناء المجتمع العلمي الوطني ، ويمثل عاملاً يتهدد الأمن العلمي والتربوي والتنمية الأمنية الوطنية المستدامة.

9- ضعف التواصل والتناغم بين المؤسسات التربوية التي من المفترض أن غايتها القصوى بناء الإنسان بناء متكاملاً ومتوازناً طبقا لثوابت هويتنا والوعي بالمستجدات الايجابية للعصر.

ث- معوقات داخل المدرسة:

1- نفور المتعلم من الأساليب التقليدية في التعليم وعدم صبره عليها رغم أهميتها في كثير من الأحيان ، وفي ذات الوقت ضعف التوظيف الجيد للأساليب التقنية الحديثة في العملية التعليمية والتي تمثل واحدة من أكبر عوامل الجذب في المجتمع المعاصر خاصة لدى النشء والشباب ، مما أفقد المدرسة جاذبيتها لدى المتعلم. وهذا يتطلب تحويل النظرة السلبية لاستخدام النشء للتكنولوجيا وكونها مضيعة للوقت والجهد والصحة إلى توظيفها في العملية التعليمية بنجاح وإدماج المعلم فيها وتمكينه منها. واستخدام عنصر الجذب الذي تحققه التقنية لدى النشء (إتاحة غير محدودة من المعلومات + التشويق + توجه للمستقبل) - والتي أخفقت المدرسة في تحقيقه - ؛ ومن ثم إحداث الارتباط بينه وبين المدرسة لانتقال هذا الأثر لها وإكسابها الجاذبية التي يفتقدها النشء تجاه المدرسة مما يمكن المتعلمون جميعا من حياة مدرسية أكثر جودة وتشويقا في ذات الوقت.

2- ضعف التواصل والتناغم بين الإدارة والمعلمين (التواصل بين العنصر البشري عموما في المدرسة).

3- افتقاد المعلم إلى الحرية الأكاديمية والمشاركة في الأمور التنظيمية بالمدرسة كصناعة القرار أو اتخاذه.

4- افتقاد الإدارة المدرسية إلى حسن تحريك العناصر التنظيمية ، والقدرة على اتخاذ القرار في الوقت المناسب.

5- افتقاد العمل بروح الفريق داخل المدرسة.

6- الانفصام بين ما نضعه من لوائح وأفكار نظرية ، وتطبيق تلك الأفكار في العمل التعليمي بكافة جوانبه.

7- الخلل في نظرة المجتمع للمعلم ومكانته عموماً ونظرة المعلم لنفسه ومهنته ومن ثم فالمعلم فاقد الاعتزاز والفخر بتلك المهنة مما يؤثر سلبا على أدائه ، بالإضافة إلى عوامل أخرى ساهمت في ذلك.

8- النظرة السلبية للمعلم الذي ساهم في صنعها المجتمع ومؤسسات تكوينه وأولياء الأمور والطلاب ، والمعلم ذاته ؛ من خلال تحويل المعلم إلى تاجر دروس خصوصية ، فتحول من مربي فاضل في التوجه العام المجتمعي إلى بائع سلعة في سوق التعليم وخارج السياق الشرعي (المدرسة).

9- عدم وضوح منظومة القيم والأخلاقيات المنظمة للعمل المدرسي التي تحقق الانضباط المنشود والأمن التربوي للمتعلم.

10-تفشي بعض الظواهر السلبية في التعليم "المدارس"كظاهرتي الدروس الخصوصية والغش ، والمخدرات مما ساهم في هدم العديد من القيم الإيجابية في التعليم والمجتمع عامة.

ثانيًا: مقومات الأمن القومي والتربوي في المجتمع المصري:

يُعد تذليل المعوقات التي تحول دون تحقيق الأمن التربوي ، وكذا مواجهة التحديات أنفة الذكر ؛ مقومات أساسية في تحقيق الأمن التربوي. **ويمكن إيجاز بعض المقومات الأخرى في التالي:**

1- وجود هدف قومي يلتف حوله الجميع: فيقول "سعيد إسماعيل علي": "ما من فترة ارتفعت فيها هاماتنا تقدماً ورقياً وعلو شأن بين الأمم ، إلا وكان ذلك مرتبطًا أشد الارتباط بجهد قومي ، جد وجيد وجديد في عملية تنمية الإنسان تربية وتعليمًا شهدناه زمن "محمد علي" ، على سبيل المثال عندما تغيرت مصر في سنوات معدودات ، لتصبح قوة عظمى يعمل لها ألف حساب. وشهدناه في حركة النضال المصري ضد الاستعمار البريطاني ، وكيف شكل التعليم أداة وعي وسلاح قوة وطاقة وحركة عوضت إنساننا عما أفقدته إياه قوى البغي" (علي ، 1996 ، 198).

2- إنتاج المعرفة والتكنولوجيا محليًا:"إن الاستسلام لاستيراد الآلات والأدوات التكنولوجية من الخارج من أهم أساليب التخلف ؛ فكل شيء يمكن استيراده إلا المعرفة والتكنولوجيا ، فلا بد من صناعتهما محليا ، فالذين لا يصنعون المعرفة والتكنولوجيا متخلفون وسيظلون كذلك مهما كانت قدراتهم الاستيرادية من الخارج" (مدكور ، 2005 ، 217). هذا مع الوعي بطبيعة العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا **والتي أوجزها "ريمر" في التالي:**

"...الأمل في التربية الحقيقية في أن تحرر الناس فتجعلهم يسيطرون على التكنولوجيا ولا يصبحون عبيدا لها أو لآخرين باسمها" (*Reimer,1971,20*).

3- إيقاف تصدير العقول المنتجة المبدعة إلى الخارج ، ورعاية الفئات المتميزة من أبناء الوطن: فالمبدعون في أية أمة هم الوقود الحيوي المتميز لإحداث التنمية الشاملة والتقدم لتلك الأمة. مما يتوجب الوعي بضرورة رعاية الفائقين والموهوبين في كل المجالات وتوفير الإمكانات التي تعينهم على تحويل أفكارهم إلى واقع ملموس يسهم في النهوض بالأمة.

4- تطوير بنية التعليم عامة وتجديد فلسفته: فتطوير النظم التعليمية والتربوية من حيث الفلسفة التربوية التي تمثل المرجعية للممارسات التربوية بعامة ، وإتباع طرق وأساليب تربوية تكسب المتعلم مهارات التفكير العلمي المبدع مقوم هام في تحقيق الأمن التربوي. فيرى "عبد الدايم": أن ضرورة تطوير التعليم وتجديده ليس فقط من أجل العمل والإنتاج ، بل أيضا باعتباره متطلبا رئيسا لربط المدرسة بعالم العلم والتقنية ، ولا يعني هذا مجرد مزيد من العناية بالمواد العلمية ، بقدر ما يعني الاهتمام ببناء وتطوير مناهج التعليم وطرقه وبنية التعليم ككل ، بما يتواءم مع ما حدث من ثورة علمية وتقنية وما أسفرت عنه من علوم وميادين علمية ومهنية جديدة (عبد الدايم ، 1985 ، 26-28). وهذا الأمر يمثل عنصر هام في تحقيق الأمن التربوي من خلال التعليم عامة.

5- تكوين العقلية البحثية بإكساب المتعلم مهارات البحث والتفكير العلمي منذ الصغر ، والوعي بقضايا الأمة ومشكلات المجتمع والقدرة على استحداث حلول عملية لتلك المشكلات.

6- تكوين جيد للمعلم ، ثم تمكينه من كافة الأدوات التي تعينه على تحقيق أدواره ومسئولياته ومواجهة التحديات المعاصرة في العملية التعليمية والتربوية.

7- استلهام زخائر التراث ودروس التاريخ وما يتضمنه من عوامل مادية وغير مادية يمكنها أن تسهم في تحصين الإنسان ضد الأخلاقيات الفاسدة التي تحول دون تحقيق الأمن التربوي.

8- قيام المعلم بكافة أدواره ومسئولياته : فيرى "ريمر" أن المعلم - في فترة السبعينيات من القرن العشرين- يؤدي في المدرسة على مستوى العملية التدريسية مثلا ثلاثة أدوار مترابطة "التحكيم ، والحكم ، والنصح" ، ففي التحكيم يقرر المعلم ما هو صواب وما هو خطأ ، وفي الحكم يقوم المعلم بمعاقبة المذنب في حالات الغش وإهمال الواجبات المدرسية ، وحالات الفشل في الحياة وفق معايير المدرسة ، وكناصح يقوم المعلم بسماع الاعتذارات عن الفشل في التعامل مع المناخين التعليمي والأخلاقي داخل المدرسة ، وينصح الطلاب بالنجاح في المجالين داخل وخارج المدرسة " (*Reimer,1971,39*). هذا بالإضافة لأدوار المعلم المستجدة مع التطور العلمي والتقني في عالمنا المعاصر.